المبحث الثاني عشر

نفع المسلمين بالدعاء لهم بظهر الغيب

الدعاء سلاح لا يغفل عنه إلا مقطوع الصلة بربه سبحانه ، ولا يهمله إلا من ضعف يقنه بأن ربه قريب ، أقرب إليه من حبل الوريد ، ولا يتقاعس عنه إلا من يجهل أن ربه يغضب إن لم يُسأل .

أليس هو الذي قال عن نفسه ـ تنزه وتقدس ـ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ [غافر : ٦٠] .

فلم التوجه إلى غيره وغيرهُ إن سألناهم تبعّدوا عنا !!

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تُحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضب

ما أكثر ما يرى الإنسان منَّا أخًا له في ضيق أو كرب أو شدة ولكنه لا يستطيع أن ينفعه بشيء يقدمه لينفس عنه كربه ، فهل هذا يعني أنك عاجز في هذا الوقت ؟ ، كلا .

فإن بإمكانك أن تقدم العون والنفع ـ بإذن الله ـ إذا توجهت إلى الله تدعوه بشأن أخيك بظهر الغيب ، أن ينفس كربه ، ويفرّج همَّه ، وقد وعد النبي ﷺ بأن الله يوكل ملكًا يُؤمِّن على دعائك ، ويقول : لك مثلها .

✿ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك الموكل : ولك بمثل ذلك** » [١] .

---

(١) مسلم برقم (٢٧٣٢) ك الذكر .

✿ وفي رواية « **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك : آمين ولك بمثل** » (١) .

فمن ذا الذي رأى أخًا له في شدة أو كرب فقام فتوضأ ، وصلى ركعتين يلهج فيهما بالدعاء إلى الله أن يفرِّج عن أخيه كربه ، وإنها ولله لأعظم وسيلة لقضاء حاجات الإخوان ، والحاجات الشخصية .

قال الإمام الغزالي - رحمه الله - في حقوق الإخوة :

« الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به ، فتدعو له كما تدعو لنفسك ، ولا تفرق بين نفسك وبينه ، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق » (٢) .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : « **إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم** » (٣) .

ونظرة الإمام الغزالي إلى دعاء الأخ لأخيه على أنه حق من الحقوق نظرة سامية تدفع كل مؤمن إلى أداء هذا الحق لإخوانه في حياتهم وبعد مماتهم ، وقد جاءت أحاديث كثيرة توضح أن الله تعالى يقبل دعاء المؤمن للمؤمن وشفاعته فيه بعد موته ، فمن ذلك :

✿ ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من ميت يموت فيصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه** » (٤) . وفي رواية : « **... فيصلى عليه أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه** » (٥) .

---

(١) مسلم برقم (٢٧٣٣) ك الذكر .

(٢) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (١ / ٦٣٨) ، ط . دار ابن الهيثم ، القاهرة .

(٣) المرجع السابق (١ / ٦٣٨) .

(٤) مسلم برقم (٩٤٧) ك الجنائز .

(٥) مسلم برقم (٩٤٨) ك الجنائز .

❁ وعند ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه ... أنهم لا يعلمون عنه إلا خيراً إلا قال الله : قد قبلت علمكم فيه ، وغفرت له ما لا تعلمون** » (١) .

❁ ويأبى الله إلا أن يجزل المثوبة لمن يتحرك بهذه العاطفة لينفع أخاه بالدعاء والشفاعة، فيقول عليه الصلاة والسلام : « **من شهد جنازة فصلى عليها وانتظر حتى تُدفن كان له من الأجر قيراطان ، القراط مثل الجبلين العظيمين** » (٢) .

❁ **تُرى** : ما الحكمة في أن الله تعالى يُعَظِّم أجر من يشهد جنازة ويثني عليها خيراً ، ويستجيب ويقبل شفاعة الشافعين فيغفر للميت ، لعل ذلك ـ بعد فضل الله ـ راجع لما يرى الله من تراحم عباده فيما بينهم ومن ترابط علاقاتهم ، وحرص الحيّ على نفع أخيه الميت بالدعاء ، فكأنه تعالى يقول : أنا أرحم منكم وأجود وأكرم ، وأنفع بهذا العمل حيَّكم وميتكم .

❁فما أحوج الإنسان منا إلى دعاء إخوانه،وما أحسنه من عون يُقدَّم من أخ لأخيه.

أحق الناس بالدعاء لهم بظهر الغيب : المجاهدون :

إن ما يعانيه إخواننا المسلمون ـ الآن ـ في جهادهم ضد أعداء الله من المحتلين سواء في فلسطين أو في العراق أو أفغانستان ... أو غيرها من البقاع شيء مهين ، ولا أقلَّ من أن ندعو لهم ، إذا عجزنا أو ضعفنا أوجَبُنّا عن نصرتهم .

وانظر في غزوة تبوك لما جاء نفر من الضعفاء والمرضى ومن لا يجدون ظهراً فردّهم النبي ﷺ قائلاً : ﴿ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة: ٩٢]،ولأنهم كانوا صادقين في نية الخروج للجهاد ﴿ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا

---

(١) صحيح ابن حبان (٣٠٢٦) ومجمع الزوائد برقم (٣٩٦٠) وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) البخاري برقم (١٣٢٥) ك الجنائز ، بلفظ قريب .

يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] ، فجاء القرآن يرفع عنهم الحرج ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة : ٩١] ، لكن بشرط ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

قال القرطبي : إذا عرفوا الحق وأحبوه وأحبوا أولياءه وأبغضوا أعداءه . . . ونصحوا لله ورسوله وللعامة ، بترك معاداتهم وإرشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم ، وإرادة الخير لكافتهم » [١] .

❁ ولذلك قرر النبي ﷺ أن أولئك النفر الذين حبسهم وبقوا في المدينة ينصحون لله ورسوله شاركوا من خرج للجهاد فقال : « **لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيراً ، ولا أنفقتم نفقة ولا قطعتم واديًا إلا وهم معكم فيه** » ، قالوا، يا رسول الله : كيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ ، قال : « **حبسهم العُذر**»[٢] .

❁ فماذا نقول نحن لربنا ـ تعالى ـ وهو يعلم ركوننا إلى الدعة والسلامة ، ويعلم فساد نياتنا ـ إلا من رحم ـ ويرى أن أكثرنا لم ينصح لله في عباده ولا لرسوله ﷺ في أمته ، وحتى الدعاء بظهر الغيب بخل به أكثرنا ، بل مَنْ الذين يهتم بأمور المسلمين ويتابع أخبارهم ؟!! .

قال الشيخ / سيد قطب ـ رحمه الله ـ في التعليق على قول الله تعالى: ﴿ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ قال :

« بمثل هذه الروح انتصر الإسلام ، وبمثل هذه الروح عزت كلمته ، فلننظر أين نحن من هؤلاء ، ولننظر أين روحنا من تلك العصبة ، ثم لنطلب النصر والعزة إن استشعرنا من أنفسنا بعض هذه المشاعر ، وإلا فلنسدد ولنقارب ، والله المستعان » [٣] .

---

(١) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٦) ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بتصرف .

(٢) صحيح سُنن أبي داود برقم (٢٥٠٨) ك الجهاد .

(٣) في ظلال القرآن (٣ / ١٦٨٦) .